

سواء داخل السوق أو في البيت، وبعدّ من أهمّ مكونات بيت العولة وعلامة على المكانة الاجتماعية والمادية للعائلة.

والغربال عبارة عن اسطوانة خشبية (طارة) متفاوتة الأحجام ويخاط عمقها بخيوط من مصارين الضأن أو جلود الغنم، وتكوّن هذه الخيوط فيما بينها ثقباً (عيون) يختلف اتساعها من غربال إلى آخر. حافظ الغربال على شكله العام المتوارث عبر الأجيال خاصة إطاره خشبي، إلا أنّ رقعته عرفت تطوّراً في مادتها حيث أدمجت إليها الأسلاك الحديدية والبلاستيكية. وعموماً يتكوّن الغربال من مادتين رئيسيتين: الخشب ورقعة جلدية تعوّض بأخرى بلاستيكية أو حديدية لتشكل أجزاءه ومكوناته وهي:

- الطارة: إطار خشبي مستطيل الشكل يختلف مقاسها من غربال إلى آخر. ويفيد الحرفي العم توفيق الطريقي أنّ غربال مخيوط مثلاً طول الطارة 1.45 م وعرضها 10 صم، أمّا غربال حديد طولها 1.30 م وعرضها 9 صم.

- الرقعة: على شكل شبكة مكونة من أشرطة (سيور) جلدية أو بلاستيكية أو حديدية تثبت على إحدى واجهتي الإطار الخشبي وهي الجزء الذي يستعمل للغرلة.

- المواد الأولية:

- الخشب: يعتبر الخشب من نوع "بلنّز" الأبيض الأفضل لصناعة الغربال لقدرته على مقاومة أسباب الاعوجاج. يقتني النجارون الخشب من المصارف بالجهة ويصنعون الإطارات الخاصة بالغربال، ثمّ يقتنيها الحرفي لصناعة أنواع الغرابيل.

- الجلد: كان الغرابلي يشتري جلد الشاة أو الضأن وينثر عليه مادة الملح ويتركه يجف تحت أشعة الشمس من ستة إلى سبعة أشهر وأحياناً سنة كاملة ثمّ ينظفه بالماء، والمستحسن ماء البحر، ويعيد تجفيفه مرّة ثانية ليتحصّل على "جلد مالح" شبيه بالجلد المستعمل في الآلات الموسيقية الإيقاعية، بعدها يقسّه إلى أشرطة وسيور رقيقة باستعمال مقص جلد (جلم) ويتركها تنتشع في الماء حتّى تصبح ليّنة ويتسنى نسجها على الطارة، وبعدها يلقها فوق بعضها البعض باستعمال آلة يدوية دائرية الشكل تشبه العجلة تسمّى "ردانة" تعمل عن طريق القوة العضلية. أمّا اليوم أصبح الغرابلي يقتني الجلد جاهزاً من مدينة المنستير أو اليقالطة بالساحل التونسي بعد إعداده بنفس التقنيات كما في السابق كما أفاد بذلك الحرفي توفيق الطريقي.

- الحديد: أسلاك حديدية رقيقة توفّر لها المصارف.

- البلاستيك: رقعة على شكل شبكة عيونها ضيقة ومختلفة الألوان.

- مراحل الصنع:

ينتظم عمل الغرابلية وفق تراتبية ثلاثية وتخصّص حرفي: المعلم أو صاحب المحلّ، القلفة أو "الصطي" والصانع ويختصّ كل طرف بمهّمة محدّدة حسب مراحل العمل، أمّا اليوم فقد انحصر العمل داخل الورشة بين المعلم والصانع عبر مراحل متتالية:

- 1) يحضّر الصانع الطارة بقولبتها على شكل دائري باعتماد آلة كهربائية تسمّى "Cylindre".
- 2) تثبيت أطراف الطارة إلى بعضها باستعمال مسامير صغيرة الحجم.
- 3) إزالة الأجزاء الحادة من الإطار باستعمال المخرطة.
- 4) يحضّر الصانع الخيوط الجلدية أو الأسلاك الحديدية أو الرقعة البلاستيكية.
- 5) ثقب الإطار الموجه لإعداد غربال من الجلد يدويّاً باستعمال "مشعب وقوس"، واليوم يعتمد مثقاب أو مشعب كهربائي (Chiniol) على أن يكون الثقب متّسع من الواجهة الخارجية للطارة وضيق من داخلها على الشاكلة التالية: "V"، ويختلف عدد الثقب من غربال إلى آخر بمعدّل 80 ثقباً.
- 6) يتولّى المعلم إعداد الرقعة وتثبيتها على الإطار حسب نوع الغربال المزمع إنجازها والمادة المعتمدة حسب التقنيات التالية:

- لإعداد غربال مصران من الجلد يتولّى المعلم نسج الرقعة بخياطة سيور الجلد مستعملاً "إبرة كبيرة الحجم تسمّى "إبرة ميبر" وخيوط الكتان، ويضع بين السيور الجلدية قطع حديدية صغيرة الحجم يتراوح طولها بين 40 و50 صم وعرضها 3 صم تسمّى "سويقة" لتيسير تمرير الخيوط، مع تدعيمها بقطعة

حديديّة ثانية لها نفس حجم الأولى تقريبا تسمّى "ضيقّة" ، كما يستعمل الغرابلي جزئين آخرين من الحديد لها نفس الحجم الأوّل يسمّى "نيرة" والثاني "ملقّة" لرفع الخيوط التي تم نسجها وتيسير مواصلة النسيج، في الأثناء يضع الحرفي تحت الخيوط في طور النسيج قطعة خشبيّة مكوّنة من جزئين متعامدين تأخذ شكل العلامة التالية "T" ويكون جزءها الأعلى أطول من الجزء السفلي العمودي.

تبدأ عمليّة النسيج بالأجزاء الطرفيّة أوّلا في اتجاه المركز حيث تزداد العمليّة أكثر تعقيدا، وكلّما تقدّم في العمل يدفع الحرفي بـ"السيقة" و"الضيقّة" نحو مركز الرقعة ويحرص على نسج مربّعات لها نفس المقاس باستعمال "النيرة" والملقى" إلى أن يتم عمليّة النسيج. ثمّ باعتماد مقص غربال يزيل الخيوط الخارجة عن الإطار.

- لإعداد غربال حديد يتم إيصال الأسلاك بين الثقب ليتحصّل على شبكة ذات عيون ضيقّة.

- لإعداد غربال بلاستيك يستعمل الحرفي إطارا دون ثقب ويفصّل رقعة بلاستيكيّة جاهزة يكون مقاس قطرها أكبر من مقاس الطارة ثمّ يثبتها بإضافة إطار ثانٍ أقلّ حجما يسمّى "قوس لوح" حيث يعتمد إلى إدخاله يدويا من خارج الواجهة التي وضع عليها الرقعة بكيفيّة تكون الرقعة البلاستيكيّة مثبتة بين الطارة من الخارج و"قوس اللوح" من الداخل.

(7) إزالة الأجزاء الزائدة والبارزة في محيط الرقعة باستعمال سكّين حاد ومقص غربال كبير الحجم (جلم).

بعد هذه العمليّات التقنيّة والدقيقة يتحصّل الحرفي على عدد من الغرابيل متنوّعة الحجم والوظيفة:

1	غربال سقاط ويسمّى غربال زيتون وغربال محمّص، اتّساع عيونه 7مم، يستعمل لإعداد المحمّص.
2	غربال تشيش ويسمّى غربال حرايمي ثلاثة أنواع: - غربال تشيش خشين اتساع عيونه 2,5 مم. - غربال تشيش ملثوث 2,5 مم. - غربال تشيش جويد 2 مم.
3	غربال شعير ويسمّى غربال قمح، اتساع عيونه 4 مم يستعمل لإعداد المحمّص.
4	غربال السميد ويسمّى غربال الكسكسي وهو نوعان: - غربال سميد جويد 1 مم. - غربال سميد خشين 1,5 مم.
5	غربال بسيسة يسمّى غربال مالطي. أو غربال دقاق يستعمل للحصول على الدقيق الناعم.
6	غربال زراد له عيون أكثر اتساع يستعمل لتنقية الحبوب.
7	غربال فول يستعمل لغرلة الفول وإسقاط ما صغر منه.

- العناصر الماديّة واللاماديّة المصاحبة للممارسة أو المهيكلة لها (الفضاء/ الأزياء/ الأدوات...)

- أدوات الصنع:

يعتمد الغرابلي في عمله على أدوات يدويّة أساسا وأدخل اليوم بعض المعدّات الكهربائيّة:

- آلة كهربائيّة لقولبة الخشب على شكل دائري تسمّى بالفرنسيّة "Cylindre".

- المخرطة: تسمّى أيضا "مملّسة" أو "عزاليّة" وهي أداة لخرط الخشب.

- المسامير: تستعمل لتشدّ أطراف الإطار الخشبي إلى بعضها.

- مطرقة حديديّة صغيرة الحجم: تستعمل في دقّ المسامير لتثبيت الجلد على الإطار.

- الحديدية: يوضع عليها الخشب لتثبيت المسامير بالمطرقة.

- المبرّد: آلة لبرّد الخشب.

- سيور من الجلد: لنسج الغربال مصران.
- أسلاك حديدية رقيقة: لصنع غربال حديد.
- رقعة بلاستيكية: لصنع غربال بلاستيك.
- مقص كبير (جلم): لقصّ الرقعة البلاستيكية وتفصيلها.
- " مشعاب " و " قوس " : لتقّب الطّارة واليوم يعتمد مشعب كهربائي (Chiniol).
- إبرة ميبر كبيرة الحجم: لتقّب الطّارة.
- سويقة وضيقة: قطعتان من الحديد تستعملان أثناء نسج الرقعة الجلدية.
- نيرة وملقة: قطعتان من الحديد تساعدان على تثبيت السيور.
- قطعتان خشبيتان: مشدودتان إلى بعضهما بشكل عمودي وتساعدان على رفع الرقعة إلى الأعلى أثناء نسجها.
- خيوط كتّان لشدّ الرقعة إلى الإطار.
- الماء: إناء من الماء وضع فيه الجلد ليتشبع بالماء ويصبح ليّنا حتّى يتسنى نسجه على الإطار.
- مطرقة لوح: لتثبيت قوس لوح من حول الطّارة.
- السكين: لإزالة الأجزاء الزائدة من الرقعة بعد تثبيتها.
- مفك: لإزالة الأسلاك الخارجة عن الطّارة، وإزالة المسامير غير المثبتة بطريقة سليمة.
- الفضاء: ورشات الغرابلية بسوق الصبّاغين والذي يصل بين باب الجبلي وسوق الربع، ويتفرّع عنه من الجهة الشماليّة الغربيّة سوق الغزل المعروف بسوق الطعمة والذي استقطب الغرابلية بالمدينة العتيقة صفاقس .

- الممارسات العرفية التي تنظم أو تمنع الوصول إلى العنصر

لا توجد ممارسات من هذا القبيل.

- كيفية التعلّم وطرائق النشر بين الأعضاء والتمرير للنّاشئة

تصنّف صناعة الغرابل ضمن الحرف التي تكتسب عن طريق المشاهدة والممارسة، يلتحق الصبي بعد انقطاعه عن الدراسة بعالم الحرف في سن مبكرة، فيتعلّم تحت أوامر الصطى وتوجيهاته، يكتفي في البداية بمشاهدة الصطى ومتابعة مراحل العمل لمعرفة تقنيات الحرفة حتّى تحين اللحظة المناسبة لإنجاز عمل حرفي، وأوّل عملية ينجزها الطفل الصانع في حرفة الغرابلية هي إعداد إطار الغربال، ثم يكلفه الصطى في المرحلة الموالية بنقب الإطار. بعد سلسلة من العمليّات والتدريبات يكلفه بخياطة غربال ساقاط، إذا نجح يتولى إعداد غربال تشييش ثم غربال سميد، ويجب إنجاز عدد معيّن في كل نوع من الغرابل وذلك على مدى سنتين إلى أربعة سنوات ليختصّ في صناعة الغربال، وتعود الذكريّات بالعم توفيق الطريقي إلى سنواته الأولى في عالم الغرابلية عندما كان صبيًا وكيف تعلّم صناعة الغربال عن والده بنفس الورشة التي ورثها عن والده.

كما تمرّر هذه المعرفة بين الأعضاء دون الخضوع إلى فترة تعلّم، خاصة الأعضاء الذين لديهم تكوين في حرف شبيهة أو قريبة من صناعة الغربال ومن بينهم الحرفيين في مجال نجارة الخشب، فالسيد ابراهيم المذيب من معتمدية بئر علي بن خليفة مختصّ في حرفة النجارة، نزح إلى مدينة صفاقس والتحق بعالم الغرابلية منذ سنة 1998، واكتسب المزيد من المعارف المرتبطة بالعنصر أثناء ممارسته له.

3- الفاعلون المعنيون بالعنصر

- حملة العنصر من الممارسين له بشكل مباشر

الحرفيون المتخصّصين في صناعة الغرابل وأدوات غزل الصوف ونتاجه يدويًا.

- مشاركون آخرون

- الحرفيون المختصين في صناعة الآلات الموسيقية الإيقاعية مثل البندير والدربوكة.
- الحرفيون المهتمين بتهيئة جلود الماشية.
- الباعة المتجولين والذين يعرضون الأدوات المنزلية للبيع

- منظمات غير حكومية/ المجتمع المدني

- جمعية أصدقاء المدينة العتيقة بصفاقس.
- جمعية باب الديوان بصفاقس.
- إذاعة الديوان. ديوان ف م Diwan FM
- الموقع الإلكتروني تاريخ صفاقس.
- الموقع الإلكتروني Centre ville Sfax

- هيئات رسمية

- الديوان الوطني للصناعات التقليدية.
- وزارة الشؤون الثقافية.
- المعهد الوطني للتراث.
- ولاية صفاقس.
- بلدية صفاقس.
- جامعة صفاقس.
- كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس.
- الإذاعة الجهوية بصفاقس.
- دار الثقافة بصفاقس.

4- مدى قابلية العنصر للاستمرار: العراقيل والتهديدات

يعرف العنصر رواجاً داخل أسواق البلاد التونسية لكن بنسق أقل مقارنة بالسنوات الماضية، كما تراجع الإقبال على الغربال المخصص لإعداد العولة مقابل رواج "غربال الحديد" أو البلاستيك" الموجه لإعداد الحلويات أو "عصيدة المولد"، وارتبط هذا التحول بتراجع دور العائلة في إعداد المؤونة الغذائية السنوية من الحبوب ومشتقاته (العولة) ومناقسة الغربال المستورد. كما تعرف الحرفة صعوبات ارتبطت بقلّة اليد العاملة وارتفاع الأجور.

5- برامج التثمين وإجراءات الصّون

يعتبر الغرابلية من الفئات الحرفية التي تمسكت بتقاليد موروثة في صناعة الغربال، ورغم التطور الذي عرفه العنصر فقد بقي الغربال التقليدي أهم مكونات الأثاث المطبخي، وتسعى المرأة إلى صيانتها والحفاظ عليه كعنصر له مكانته المادية والرمزية داخل البيت. كما تناولت الدراسات العلمية العنصر في أبعاده التاريخية والانتروبولوجية والانتوغرافية، من ذلك ما قدمه الطبيب "إرنست غوبير" (Gobert) من تصنيف لأنواع الغرابيل، إضافة إلى ما حبره الانتوغرافيان "لوسيان قولفان" (L. Golvin) و"أندري لويس" (A. Louis) على صفحات مجلة "إبلا" (IBLA) أو الكتاب المخصص "للحرف الصفاقسية" وفيه جرد مدقق لصناعة الغربال ومكوناته. كما تناول معجم الكلمات والتقاليد الشعبية بصفاقس الغربال بالتعريف قاموسياً ووظيفياً. تطرقت كذلك البحوث الجامعية في العشريتين الأخيرتين

إلى العنصر سواء كحرفة أو كواسطة لتحويل المواد الحبوبية من ذلك ما تضمّنته أطروحة فريد خشارم حول الحياة اليومية بمدينة صفاقس خلال النصف الثاني من القرن 19 من تصنيف لأنواع الغرابيل ودورها في تحويل المواد الأولية النباتية، أو كذلك ما قدّمه الطالب هشام الشرفي مؤخرًا في رسالة الماجستير بعنوان "النشاط الحرفي والصناعي بصفاقس خلال القرن 19: دراسة سوسيو-اقتصادية" والتي ناقشها يوم 21 مارس 2017، حول حرفة الغرابلية وتنظّمهم.

مثّل العنصر كذلك موضوع نظر من لدن السلط الرسمية المحليّة ممثلة في ولاية صفاقس أو البلدية، وتمّ التفكير في بعث قرية حرفيّة ينتقل إليها أصحاب الصناعات الحرفيّة التقليديّة من ضمنهم الغرابليّة لإيجاد حلول لأزمة الحرف وإخراجها من داخل المدينة العتيقة. كما تعمل بعض مكونات المجتمع المدني، على غرار جمعية أصدقاء المدينة العتيقة بصفاقس أو جمعية باب الديوان، على توثيق العنصر وتثمينه بإدراجه ضمن المسلك السياحي الثقافي داخل المدينة أو بالتعريف به على صفحات التواصل الاجتماعي ممّا ساهم في إدماج العنصر ضمن المنتوجات السياحيّة.

6- التوثيق الفوتوغرافي للعنصر





7- هوية الشخص المرجعية المعتمدة في استيقاء البيانات

- الحاج رشيد شرف الدين حرفي في صناعة الغرابل والبندير بسوق الطعمة المدينة العتيقة صفاقس.
- السيد توفيق الطريقي حرفي في صناعة الغرابل وصاحب الورشة بنهج الحدادين المدينة العتيقة صفاقس. من مواليد سنة 1963. الهاتف 97233057.
- السيد ابراهيم المذيب صانع غرابلي بنهج الحدادين المدينة العتيقة صفاقس. من مواليد سنة 1977. الهاتف 23612019.
- السيد ابراهيم عفلي تاجر متجول من مدينة القيروان.

8- المصادر والمراجع

- المكتوبة

- التيمومي (الهادي): "صغار الكسبة في البلاد التونسية: الحرفيون والتجار (العشرينات - ستينات القرن العشرين)"، في: تأليف جماعي: المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، تنسيق الهادي التيمومي، بيت الحكمة، قرطاج 1999.
- الدرويش (البيب): التنمية والتغير الاجتماعي بتونس من خلال تجربة الحرف الصغرى: دراسة حالة مدينة صفاقس، أطروحة الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، 1998.
- الدو القايد (السيدة): أسواق وحرف: سوق الصباغين بمدينة صفاقس 1900-2010، نوبا برانت، 2010.
- الزواري (علي): صفاقس، دار الجنوب للنشر، تونس 1980.
- الشرفي (هشام): النشاط الحرفي والصناعي بصفاقس خلال القرن 19: دراسة سوسيو-اقتصادية، رسالة الماجستير في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، 21 مارس 2017.
- بن حمودة (محمد): ابن خلدون والصناعات والمهن، مركز سرسينا للبحوث في الجزر المتوسطية، صفاقس 2006.
- بن عبد النبي (عبد العزيز): أمناء المهن بجهة صفاقس خلال الفترة الاستعمارية، رسالة الماجستير في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، 2010.
- بن يدر (كريم): الحرف والحرفيون بمدينة تونس خلال القرنين 18 و19، شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 2004-2005.
- بوعلي (لطي): الحرف والحرفيون في الإيالة التونسية في أواخر القرن 18 وبداية القرن 19 من خلال وثائق البايليك، شهادة الكفاءة في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 1992-1993.
- خشارم (فريد): الحياة اليومية بمدينة صفاقس خلال النصف الثاني من القرن 19، أطروحة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، 2016.
- زراد (حلومة): صفاقس في العصور الوسطى، شهادة الكفاءة في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، سبتمبر 1988.
- عبد الباقي (خليفة): تونس: "صناعة الغرابيل من الاستعمالات اليومية إلى ديكورات في المنازل الغربية"، جريدة الشرق الأوسط، 26 سبتمبر 2011.
- محفوظ (فوزي): "بعض المظاهر من أسواق صفاقس في العصر الوسيط"، في: الحركة الاقتصادية بصفاقس بين الماضي والحاضر، الملتقى الدولي الأول 28 30 نوفمبر 1991، نشر جمعية صيانة صفاقس.
- الزواري (علي) والشرفي (يوسف): معجم الكلمات والتقاليد الشعبية بصفاقس، سوجيك، صفاقس 1998.
- Gobert (E-G): usages et rites alimentaires des tunisiens. Leur aspect domestique physiologique et social, édition media com, Tunis, 2003.
- Golvin (L), Artisans Sfaxiens tamis, dalous, cardes, publications de l'institut

des belles lettres arabes, imprimerie bascone et muscat, Tunis, sans date, pp. 43-47.

- Golvin (L): « Au souk des artisans du tamis (Sfax) 1^e partie», IBLA, n° 28, 1944.

- Golvin (L): « Au souk des artisans du tamis (Sfax) 2^e partie», IBLA, n° 29, 1945.

- Lowy (P): “L’artisanat dans les médinas de Tunis et de Sfax”, annales de géographie, n° 470, 1976

Massé-Mozi (N): Sfax mémoires en images, Alan Sutton, 2002.

- السّمْعِيَّة البصريَّة

شريط وثائقي من إنتاج قناة القلم.

- المواد الوثائقية المحفوظة في المتاحف والأرشيفات والمجموعات الخاصّة

يحتفظ متحف العادات والتقاليد الشعبيّة بصفاقس دار الجلولي بعدد من الخزابيل مختلفة الأنواع، كما توثق ملفّات التراكات وأعمال المقدّمين للعنصر.

9- معطيات تقنية حول عمليّة الجرد

- تاريخ البحث الميداني ومكانه

07 جانفي 2017.

- جامع أو جامعو المادّة الميدانيّة

فريد خشارم ملحق بحوث أثرية وتاريخية.

- تاريخ إدخال بيانات الجرد

18 جانفي 2017

- محرّر البطاقة

فريد خشارم